مجلة البيان للأبنية الفكرية والحضارة – ISSN 2830-8042
المجلد 01 . العدد 02 . ديسمبر 2022 ص 26 – 38

الإسهامات التربوية الإصلاحية في فكر العلامة عبد الحليم بن سماية

The reformist educational contributions of the thinker Abdel Halim ben Smaya

د: صباح أحمد [1]*،د: مغراني سليم[2]

[1]جامعة: خميس مليانة (الجزائر)، a.sebbah@univ-dbkm.dz

[2]جامعة: خميس مليانة (الجزائر)،s.moghrani@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 25 اكتوبر 2022 تاريخ القبول: 18 نوفمبر 2022 تاريخ النشر: 30 ديسمبر 2022

الملخص:

بسبب الاضطهاد و السياسة الفرنسية التعسفية لتي مارستها على الشعب في كل الجوانب وبالأخص الجانب التعليمي،عاشت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين انحطاطا فكريا وثقافيا كبيرا فاختفت المراكز العلمية والمدارس وأصبح المعمرون هم المسيطرون على مصدر القرار بينما أصبح الجزائري يعيش في بلاده على الهامش، فهاجرت أغلب العائلات الجزائرية الكبيرة ذات النفوذ المالي والعلمي، وانتشر العلماء الجزائريون في أقطار مثل تونس والمغرب وحتى المشرق العربي سواء كانت هذه الهجرة طوعية أو إجباريةمن خلال النفي من قبل السلطات الفرنسية، فاختل التوازن في الجزائر وانتشر الجهل بينالجزائريين. لكن هناك فئة قليلة من العلماء قهرت الصعاب وتكيفت مع الأمور وبقيت تناضل وتجاهد في بلادها، وهم الذين سيقودون بوادر النهضة في الجزائر من بينهم الشيخ عبد الحليمبن سماية و الذي سنعمل في هذا العمل على معرقة حياته ونهجه والدور الذي لعبه في مسار الإصلاح والتربية.

الكلمات المفتاحية: الفكر؛ الإصلاح؛ التربية؛ عبد الحليم بن سماية.

Abstract:

Algeria lived in the late nineteenth and early twentieth centuries a great intellectual and cultural decline due to the arbitrary French policy and the persecution that it exercised against the people in all aspects, including the educational aspect, so scientific centers and schools disappeared and the centenarians became the ones who control the source of the decision, while the Algerian became living in his country on the sidelines. Most of the large Algerian families with financial and scientific influence immigrated, and Algerian scholars spread in countries such as Tunisia, Morocco and even the Arab Mashreq, whether this migration was voluntary or forced through exile by the French authorities, so the

balance was disturbed in Algeria and ignorance spread among the Algerians. But there is a small group of scholars who overcame the difficulties and adapted to things and remained struggling and striving in their countries, and they are the ones who will lead the signs of renaissance in Algeria, including Sheikh Abdel Halim bin Samaya, who we will work on in this work to know his life and his approach and the role he played in the path of reform and **education.**

Keywords: thought; reform; Education; Abdul Halim bin Smay

مقدمة:

عاشت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين انحطاطا فكريا وثقافيا كبيرا، بسبب السياسة الفرنسية التعسفية والاضطهاد الذي مارسته على الشعب في كل الجوانب منها الجانب التعليمي، فاختفت المراكز العلمية والمدارس وأصبح المعمرون هم المسيطرون على مصدر القرار بينما أصبح الجزائري يعيش في بلاده على الهامش، فهاجرت أغلب العائلات الجزائرية الكبيرة ذات النفوذ المالي والعلمي، وانتشر العلماء الجزائريون في أقطار مثل تونس والمغرب وحتى المشرق العربي سواء كانت هذه الهجرة طوعية أو إجباريةمن خلال النفي من قبل السلطات الفرنسية، فاختل التوازن في الجزائر وانتشر الجهل بينالجزائريين. لكن هناك فئة قليلة من العلماء قهرت الصعاب وتكيفت مع الأمور وبقيت تناضل وتجاهد في بلادها، وهم الذين سيقودون بوادر النهضة في الجزائر من بينهم الشيخ عبد الحليمبن سماية، الذي آثر البقاء في بلاده لتعليم شعبه وتثقيفهم، فيا ترى ما هو الدور الذي لعبهالشيخ عبد الحليم بن سماية؟ وكيف كان منهجه في اصلاح المجتمع الجزائري ؟

1-مسار العلامة عبد الحليم بن سماية:

ولد الشيخ عبد الحليم بن سماية في عام 1866 بالجزائر .وكانت هذه المدينة تضم عددا كبيرا من المساجد، وكانت ساحة الشهداء بالخصوص زاخرة بالجوامع التي تقدم فيها الدروس في مختلف العلوم الشرعية، يشرف عليها نخبة من العلماء. ففي هذه البيئة تربى وعاش عبد الحليم بن سماية طفولته وشبابه؛ فتلقى تعليمه الأساسي على يد والده الشيخ علي بن سماية بجامع سفير[1] .

من خلال تقريرين هامين عن المفكر عبد الحليم بن سماية سنحاول الغوص في فكر هذا الأخير وما أظافه لحقل التربية والتعليم في الجزائر.

[1] عباس فرحات، ليل الاستعمار، تر أبو بكر النحال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009 ،ص113

التقرير الأول لـويليام مارسي الـذي يعـود إلى سـنة 1907 - 1906 والـذي يصـفه بفصـاحة اللسان وحرية الفكر وسلامة اللغة، وأن مستوى درسه في المسجد يساوي مستوى درسه في المدرسة، أما تقرير 1912 فيذكر أن دروس الشيخ تقام كل يوم من الساعة العاشرة إلى الحادية عشر ماعدا يومي الجمعة والسبت بالنسبة للدروس العامة، أما بالنسبة للدروس الخاصة فخصص لها يومي الثلاثاء والأربعاء من الساعة الرابعة إلى الخامسة، وتراوح عدد الحضور في الدروس العامة بين عشرة وستة وثلاثون شخص، وبالنسبة للدروس خاصة فكان يحضرها خمسة عشر شخص بشكل منتظم، وكانت المواد التي يدرسها الشيخ في الدروس العامة هي شرح الأحاديث وتفسير سور من القرآن، وبالنسبة للدروس الخاصة فمواد تدريسها هي نصوص من كتاب المستظرف ومن كتب الفوائد كما قدم الشيخ بن سماية دروسا كثيرة في الوعظ والإرشاد والتفسير في الجامع الكبير، فيذكر محمد الخضر حسين عند زيارته للجزائر سنة 1904 أنه اجتمع بالشيخ بن سماية وحضر دروسه في الجامع الكبير، منها تناوله مبحث صفة الكلام وقد ذاع صيته بين الناس وأصبح الكثير من الناس يحضر دروسه،قررت السلطات الفرنسية احتواء الشيخ بن سماية، وذلك من خلال دعوته إلى التدريس في المدرسة الحكومية، وهي سياسة تستعملها فرنسا لاحتواء جميع العلماء الذين تلمس فيهم الفطنة والغيرة على الوطن، وبدوره قبل ابن سماية التدريس في هذه المدرسة بسبب وجود عدد كبير من المسلمين، بالإضافة إلى تطبيقها نظاما عصريا في التعليم، فأدرك أن دوره يكون أكثر فاعلية وتأثير في الجيل الجديد في المدرسة أكثر من أن يكون خارجها فهم نخبة المستقبل، كما رأى أنه إذا لم يقبل بالوظيفة الرسمية فإن السلطات الفرنسية سوف تضيق عليه نشاطه، وبذلك يكون مراقبا ومستهدفا، فانخرط فيها سنة 1896 وعمره أنذاك حوالي 30 سنة، وكان دور هذه المدرسة الحكومية تخريج الموظفين من القضاة والمترجمين قبل بناء المدرسة الثعالبية التي انتقل إلى التدريس فيها سنة 1905، وكانت هذه المدرسة تدرس باللغة العربية إلى أن يعتبر الشيخ بن سماية من محبين للكتب وجامع للمخطوطات النفيسة، حيث ورث بعض الكتب على والده الشيخ علي بن سماية، والبعض آخر اشتراه من ماله الخاص إذ كان لا يسمع بكتاب إلا و يصل إليه، إما أن يشتريه أو يستنسخه،و كانت مكتبته تحتوي على آلاف الكتب والمخطوطات النفيسة المتنوعة، لكنها ضاعت كلها في آخر عمره حيث استغل بعض أشباه العلماء مرضه في الفترة الأخيرة، واستعاروا منه كتبا فسرقوها وهربت بعضها إلى باريس فضاعت مكتبة الشيخ التي كانت مليئة بأنفس الكتب.[2]ويشكل مع مجموعة من

[2]يوسف مناصرية، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية بين الحربين، دار هومه، الجزائر، 2013،ص56

العلماء أمثال عبد القادر المجاوي،مصطفى بن الخوجة، أبو القاسم الحفناوي، صالح بن مهنا ، المولود بن الموهوب، حمدان الونيسي الصفحة الأولى في سجل الحركة الإصلاحية الجزائرية.
ودرس اللغة العربية والعلوم الشرعية على الشيخ السعيد بن زكري، وعلم الفلك والتاريخ على الشيخ أبي القاسم الحفناوي صاحب الكتاب المفيد "تعريف الخلف برجال السلف". ثم انتقل إلى تونس لدراسة الفلسفة على يد الشيخ محمد بن عيسى الجزائر.

و في عام 1896 عيّن مدرسا بالمدرسة الرسمية الثعالبية، ثم استخلف والده بالجامع الكبير في عام 1900 في تعليم القرآن والعلوم الشرعية واللغوية. فدرّس "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للجرجاني، و"المفصل" للزمخشري، و"البصائر النصيرية في المنطق" لابن سهلان، "الاقتصاد في الاعتقاد" لأبي حامد الغزالي، و"تلخيص المفتاح" للقزويني [3] .وكان من أبرز تلاميذه والملازمين لدروسه العالم والمحقق الدكتور محمد بن أبي شنب، الدكتور محمد بن العربي أول جزائري تحصل على شهادة الدكتوراه في الطب، والشيخ عبد الرحمان الجيلالي المؤرخ والفقيه المعروف.

وكتب الشيخ عبد الحليم بن سماية في بعض الصحف العربية الجزائرية: المغرب (1903-1904)، كوكب إفريقيا (1907 -1914)، الإقدام (1920-1923) باسمه الحقيقي وبأسماء مستعارة.

ولا ندري إن كتب في الجرائد التونسية: "الوزير" و"المشير" و"الحاضرة" التي نشر فيها المثقفون الجزائريون مقالاتهم وأشعارهم خاصة في بدايات القرن العشرين قبل بروز جرائد عربية حرة بالجزائر.

نشر الشيخ بن سماية رسالة عن الربا في سنة 1911 بعنوان:"اهتزاز الأطواد والربى في مسألة تحريم الربا"، لكن لم يبقى لها أثر. ولحسن الحظ اطلع عليها تلميذه الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، وقال عنها: " هي رسالة غزيرة المادة في موضوعها. استوعب فيها المؤلف أصول هذا الباب، دعا فيها علماء الإسلام قاطبة إلى تحمل مسؤولياتهم أمام هذا الموضوع الهام."ونشر كتابا آخر في سنة 1913 بعنوان: "الكنز المكنون."واهتم بالفلسفة والمنطق حتى صار ملما بمداخل هذا العلم وعارفا بأسراره. وقال في هذا الشأن الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي سأله أن يحدثه في المنطق، فأجاب: " خذ ورقة واكتب:

[3]عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1931 -1945 م،ص74.

وسرعان ما أهذت الورقة والقلم، وأخذ يملي عليّ بلهجة علمية قاسية وفصاحة عربية نادرة وصوت جهوري تناسقت نبراته كما تناسقت عباراته، خلاصة وافية لعلم المنطق، بتعريفاته، وكلياته، وأقسامه وأمثاله، وأطال الإملاء وأطلت الكتابة إلى أن ملأت عشر ورقات، وكلت يدي من الكتابة، وقلت بعد ساعة: يكفي هذا الدرس الأول ولنترك الدرس الثاني إلى فرصة أخرى".وشارك الشيخ ابن سماية في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في عام 1905 بالجزائر، وقدم بحثا بعنوان: "الحضارة الإسلامية والفلسفة."وكان مهتما أيضا–على غير عادة علماء عصره- بمقارنة الأديان، فكان يقرأ الإنجيل والتوراة ويجادل علماءهاوقد وعد الشيخ عبد الحليم بن سماية صديقه الشيخ محمد الخضر حسين (1873-1958) بالكتابة في مجلة هذا الأخير التي تسمى "السعادة العظمى" حينما دعاه هذا الأخير للمساهمة في هذه المجلة بمقالات وبحوث[4].

فقد أعجب بأفكار ابن سماية ودروسه وتمنى أن يدوّنها حتى لا تضيع ويحرم منها كثير من الناس. فأفكار الشيخ بن سماية التجديدية ومعارفه العلمية الواسعة جديرة بأن يطلع عليها القراء في الجزائر وفي البلدان الإسلامية الأخرى ، وقد كان الشيخ عبد الحليم بن سماية يشد إليه الرحال. فزاره العلماء الذين كانوا يوفدون على الجزائر العاصمة من المناطق الداخلية أو من خارج البلاد. فقد استقبل الإمام محمد عبده خلال زيارته إلى الجزائر عام 1903. ونملك اليوم صورة التقطت للرجلين مع بعض علماء وأعيان العاصمة[5].

ويرى الباحث الدكتور علي مراد أن الشيخ بن سماية هو أكبر المتأثرين بأفكار محمد عبده وسعى من خلال منصبه بالمدرسة الثعالبية إلى الترويج لها بين طلبته الموجهين نحو الوظائف الإدارية والقضائية والدينية.

كما راسل الإمام عبده بعد رجوعه إلى مصر. ونشر الشيخ محمد رشيد رضا هذه الرسالة مع قصيدة في كتابه "تاريخ الإمام[6]."

---

[4] المرجع السابق ،ص77

5 عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،لبنان، 1 . ط2 ،1980،ص 245.

6 نفس المرجع السابق،ص133.

وقال فيها الشيخ بن سماية عن الشيخ محمد عبده:" هذا الرجل الجليل رجل حنكته تجارب الزمان، واستقصى أحوال الأمم حتى ميّز منها ما زان وما شان، وتطلع من الفنون على اختلاف أنواعها، ومواضيعها، وأعمل فكره أعمق تفكر وتدبر في الحبل المتين والقرآن المبين".

وزاره أيضا العالم الزيتوني الشيخ محمد الخضر حسين في سنة 1904 في رحلته إلى الجزائر. وكتب عند عودته إلى تونس عن إعجابه بشخصية الشيخ ابن سماية وعلمه.

وقال في هذا الصدد: "التقينا بالشيخ عبد الحليم بن سماية، فغمرنا بنفحات خلقه الناضر، واختلى ألبابنا بفصاحة لسانه الساحر." وجالسه في بيته في مسامرة دامت 6 ساعات.

ويقول الشيخ الخضر بعد هذه المجالسة: "كلام يشهد لصاحبه بسلامة الذوق والولوع بالكشف عن أسرار المسائل دون الاكتفاء بتصوراته المجردة".

.كما ينبغي أن نشير إلى أن للشيخ عبد الحليم بن سماية 1865 – 1915 م مواقف معروفة في محاربة البد ع في الجزائر، وأنه من أوائل تلاميذ الأستاذ محمد عبده الذين نشروا المذهب الإصلاحي خارج مصر، حيث الشيخ ابن سماية يدرس رسالة التوحيد للإمام محمد عبده في المدرسة الثعالبية، وقد كان من المعجبين بالشيخ محمد عبده وبطريقيه في الإصلاح وذكر الشيخ رشيد رضا في كتابه " تاريخ الإمام محمد عبده " إن الإمام محمد عبده عندما زار الجزائر، وتونس في صيف 1903 م وجد له ومن الذين تأثروا، بمدرسة الإمامين محمد عبده ورشيد رضا، قدور 4 حزبا دينيا كونته مجلة المنار.[7]

2-المواقف السياسية للعلامة عبد الحليم بن سماية:

7 يسلي مقران ، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945م) ، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص167.

يشكل الشيخ عبد الحليم بن سماية مع مجموعة من العلماء والمثقفين كالشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ المولود بن الموهوب وعمر بن قدور وعمر راسم... كتلة المحافظين التي تعاطفت مع فكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده.

وتعاونوا مع مجموعة من السياسيين المتنورين أمثال محمد بن رحال وأحمد بوضربة والشريف بن حبيلس للمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والتعليمية والسياسة للجزائريين؛ فطالبوا بإلغاء قانون الأهالي وإعادة نظام القضاء الإسلامي، واحترام التقاليد الجزائرية، والسماح لهم بحرية التنقل والسفر خاصة إلى المشرق العربي.

تزعم الشيخ عبد الحليم بن سماية حركة المعارضة لقانون التجنيد الإجباري.فترأس جلسة يوم 25 جويلية 1911 بقاعة المجلس البلدي بالعاصمة، وحضرها أعيان المسلمين وتحدث باسم الوفد معربا عن رفضهم الجميع لمشروع التجنيد الإجباري[8].

ونملك اليوم معلومات دقيقة عن هذه الجلسة ومداخلة الشيخ بن سماية بفضل المقال الذي نشره الصحافي والمصلح الجزائري المعروف عمر بن قدور في جريدة "الحضارة"الصادرة في آستانة بتركيا. وقد عثر عليه الدكتور صالح خرفي وأعاد نشره ضمن كتابه: "عمر بن قدور الجزائري" الصادر في عام 1984 عن المؤسسة الوطنية للكتاب.

ونذكر هنا هذه الفقرة من هذا النص وهي تكشف عن وقائع هذه الجلسة التاريخية: « تقدم واستدل بآيات قرآنية على أن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة، ولا نالوا من الحرية ما يخول نبغاءهم التربع في دست رئاسة الجمهورية ودعا جنابه أن الحرية والحقوق السياسية إذا منحت للمسلمين مقابل تجنيدهم تكون هناك الضربة القاضية على القومية الدينية والسياسية إذ يقع اندماجهم بالأمة الفرنسوية نهائيا«.

وقد أبدى الشيخ بن سماية معارضته للتجنيد الإجباري للاعتبارات الدينية والاجتماعية التالية:

8سلسلة جهاد شعب الجزائر- ج ضحية من ضحايا الاستعمار الشيخ عبد الحليم بن سماية - المكتبة الشاملة الحديثة. ص77

–محاربة إخوانهم المسلمين وهذا ما يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي.

–عدم قدرة المجندين المسلمين على ممارسة شعائرهم الدينية بإجبارهم على الإفطار في رمضان وتأخير الصلاة.

- تحويل المجتمع الجزائري إلى مجتمع مكون من طبقتين متمايزتين: المجندون وغيرهم.

و من مواقفه الجريئة: إصداره لفتوى بعدم جواز محاربة الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى لأنها مسلمة ويرتبط بها الجزائري برابطة دينية وولاء روحي بحكمها تمثل الخلافة الإسلامية.

3-اهتمام العلامة عبد الحليم بن سماية بالفنون:

اهتم الشيخ بن سماية بالعديد منالفنون والمعارف الأخرى فهو يمتاز بفصاحةأدبية مكنته من الإبداع في فن الخطابة والوعظ، ولم يهمل الشيخ بن سماية فن الشعر رغمتركيزه الكبير على التعليم ودروس الوعظ والإرشاد، حيث كان من حين إلى آخر يكتب أبياتاشعرية إذا اقتضى الأمر، فله العديد من الأبيات الشعرية في المدح تمتاز بأسلوبها الجيد كأنصاحبها شاعر متمكن، مثل القصيدة التي بعثها إلى الشيخ محمد عبده يمدحه فيها والتيتتكون من خمسين بيت نشرها محمد رشيد رضا في مجلة المنار.

كان بن سماية مولعا بالموسيقى حيث يذكر أحد تلامذته وهو عبد الرحمن بن دالي،أنه خلال دراسته عند الشيخ بن سماية أحضر لهم آلة العود حيث أظهر لهم مهارة فائقة فيعزف الألحان المتنوعة، وأراهم الفرق بينها وبين لهم أنواع الأوتار وأسماءها، كما أنه كانيعرف الألحان الأندلسية مثل عراق وماية وزيدان وصيكة وغيرها من الألحان الأندلسيةالمتنوعة.

يعتبر الشيخ بن سماية من محبين للكتب وجامع للمخطوطات النفيسة، حيث ورثبعض الكتب على والده الشيخ علي بن سماية، والبعض آخر اشتراه من ماله الخاص إذ كان لايسمع بكتاب إلا و يصل إليه، إما أن يشتريه أو يستنسخه،و كانت مكتبته تحتوي على آلافالكتب والمخطوطات النفيسة المتنوعة، لكنها ضاعت كلها في آخر عمره حيث استغل بعضأشباه العلماء مرضه في الفترة الأخيرة، واستعاروا منه كتبا فسرقوها وهربت بعضها إلى باريس.فضاعت مكتبة الشيخ التي كانت

مليئة بأنفس الكتب.[9]

4-مرض العلامة عبد الحليم بن سمايةووفاته :

وتعرض الشيخ عبد الحليم بن سماية لمضايقات واضطهاد سلطات الاستعمار وأصيب جراء ذلك بمرض عقلي لازمه حتى وفاته في 7 رمضان 1351 هـ الموافق ل 4 جانفي 1933 م، ودفن في مقبرة الشيخ عبد الرحمان الثعالبي.

وخصصت له مجلة "التلميذ" التي كانت تصدرها الجمعية الودادية للتلاميذ المسلمين بإفريقيا الشمالية عدة صفحات. وكتب عنه تلميذه الشيخ أبو عبد الله محمد الحسن الحجوي مقالا طويلا ذكر فيه جوانب من حياته وأعماله.

وقد وصفه بأنه كان «حسن المحاضر، فكه المجالسة، متين السندونقلت مجلة "الشهاب" الإصلاحية خبر وفاته. كما وصفته بما يليق بمقامه الكبير وعلمه الغزير ونضاله المستميت في سبيل دينه ووطنه.

فهو في نظر الشيخ إبن باديس: «عالم عامل، غيور على دينه ووطنه مخلص لهما قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية فبث روحا طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها.(https://shamela-dz.net/tag)ومرة أخرى، أذكر حادثا وقع لي، عرفني بعالم جليل، ومنه عرفت ما آل إليه حال الذين رفضوا التعامل مع الاستعمار. ولم يركنوا إليه. والذين اختنقت أنفاسهم بما لاقوه من مرارة ظلم وإرهاق ... كنت على موعد معه في مزرعة السيد محمد بن الأكحل، غير بعيد عن بلدة الأربعاء. ودخلت المكان مع صاحب الدعوة. وكان الشيخ يتوسط القاعة، وكأنه بجلاله وهيبته يحتل كامل الغرفة ... كان حقا شيخا جليلا، قام للسلام علي، ولم تتغير ملامحه، ولم تبد على وجهه أدنى بشاشة ... قال لي :مرحبا بك. ثم سكت طويلا، ولا يتحرك، ولا يبدي إشارة - ليشارك في الحديث - حتى كأنه صورة مجسمة من الشمع الملون .قلت للسيد محمد بن الأكحل هامسا :أهذا هو الشيخ عبد الحليم بن سماية، العالم الشهير، الذي طبق صيته آفاق العالم الإسلامي؟ قال لي :نعم. وهذه هي حاله مئذ أن أصبح ملازما للوحدة والعزلة، وستكون محظوظا إن أنت ظفرت منه بكلمة .قلت :ومنذ متى وهو يلازم هذه الحالة؟ قال لي :منذ بدأت الأحاديث تتردد عن

9سلسلة جهاد شعب الجزائر - ج ضحية من ضحايا الاستعمار الشيخ عبد الحليم بن سماية - المكتبة الشاملة الحديثة. ص93

احتفال فرنسا بصفة صاخبة بمرور مائة عام على احتلالها الجزائر. (كتاب سلسلة جهاد شعب الجزائر ،ضحية من ضحايا الاستعمار الشيخ عبد الحليم بن سماية ، المكتبة الشاملة الحديثة)فهمت. وعلمت أن الرجل البائس يكاد يقتله الهم والحزن، وأن سكوته هذا هو نوع من الفرار من الدنيا. ولكنني اتجهت إليترك لنا ابن سماية مؤلفات كثيرة نظرا لتفرغه الدائم لمهنة التدريس في المدرسةوالجامع، بحيث كان يكرس كل وقته لتكوين الأجيال القادمة، لكنه استطاع بفضل حسن إدارته للوقت وتنظيمه أن يترك لنا بعض المؤلفات القليلة إلا أنها مفيدة، منها ما بقي ومنها من اندثر بفعل العديد من العوامل نذكر منها مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية بالحامة عنوانه "شرح(الشيخ عبد الحليم بن سماية على مفهومة الشيخ المكي بن عزوز" يتكون من 52 ورقة، ويذكر عبد الرحمان الجيلالي بعض المؤلفات الشيخ منها رسالة في أحكام الربا، كتبها ليرد على بعض العلماء الذين حللوا الربا في بعض الجرائد وهي تحت وعنوان " اهتزاز الأطواد والربى من مسألة تحليل الربا "، وهي رسالة مطبوعة سنة 1911 تناول فيها أصول باب الربا وفروعه، كما دعا فيها علماء الإسلام قاطبة إلى تحمل مسؤولياتهم في مسائل الفتوى وعدم انسياقهم وراء الضغوطات،وله أيضا كتاب حول "فلسفة الإسلام" الذي قدمه في مؤتمر الرابع عشرللمستشرقين المنعقد بالجزائر سنة 1905 حيث يقول عنه عمر راسم "ولما فيه من الحقائقالنيرة لم ترض الحكومة بطبعه".[10]

لقد عاش الشيخ بن سماية طورين في حياته، الطور الأول هو طور العطاء وتربيةالأجيال، والطور الثاني عاشه في آخر عمره حيث أصيب بمرض عقلي وراثي سنة 1924 سببهحماسه الشديد وكرهه الدفين للاستعمار وجهاده العلمي الذي أرهقه عقليا، لأنه كان يحملهم أمة في قلبه ويتحسر على ما يحدث للجزائر والمسلمين، وشفي الشيخ في البداية من هذاالمرض لكن ما لبث أن عاد إليه من جديد سنة 1928 ،فأحيل على التقاعد وأعفته الثعالبيةمن التدريس،فأصبح الشيخ غير مبالي بنفسه ولا يلتفت إلى مظهره وسلوكه وحياته اليومية،فاتخذ لمركبه حصانا وسيفا وأخذ يتجول ما بين أرباض العاصمة وأحيائها، وتارة يسافر إلىالمدن المجاورة مثل البليدة وشرشال والقليعة والمدية ولا يبالي أين أدركه الليل أو أين ينام أوحتى أين تطلع عليه الشمس، في هذه الفترة بدأ الشيخ بن سماية بإخراج مكبوتاته دون تردد-إذ يبدو أن الشيخ بن سماية كان من النوع الكتوم - وهي مكبوتات دفنها معه ولم يستطعالبوح بها أو التعبير عنها لما كان مدرسا تحت إمرة السلطة الفرنسية، حيث وقعت له عدةحوادث عبر فيها على ما كان يدور في خاطره دون مبالاة أو خوف ويتحسر فيها على حالقومه من

10https://shamela-dz.net/?tag تاريخ التصفح :12-03-2021

التخلف والجهل والاضطهاد الذين يعيشون فيهرغم مرض الشيخ إلا أنه كان يخوض في مواضيع الإصلاح الديني ،والدعوة إلى العلم التي كانت دائما تشغل باله، ووقعت للشيخ حادثتين عبر فيهما على ما يجولفي خاطره بصراحة، الأولى أن جماعة من الشباب لقوا الشيخ فسألوه على حكم لبس الذهببالنسبة للرجال، فقال لهم لا بأس بهم، فقالوا له أن الإسلام حرمه، فرد عليهم الشيخ صارخاأن الرسول صلى االله عليه وسلم قال " الذهب و الحرير حلالان لنساء أمتي، محرمان علىذكورها " وأنتم لستم ذكورا، لستم رجالا"، فهو يوبخهم على أتهم رضوا بالاستعمار ولميحاربوه، والحادثة الثانية أنه كان يتجول بفرسه في شوارع العاصمة فوصل إلى ساحة الحكومة،حيث تمثال القائد الذي غزا الجزائر – دي بورمون –والذي يحترمه الفرنسيين ويمنعون أيشخص يتقرب منه، فاقتحم الشيخ الساحة ووقف عند التمثال، فأفرغ حصان الشيخ فضلاتهفي الساحة، فجاء إليه الشرطي فأخبره أن فرسه لوث المكان وأنه ممنوع على الدواب دخول هذا المكان، فأشار الشيخ إلى تمثال وقال له : يا هذا إن فرسكم هذا واقف منذ مئة عام يطل على أكبادنا فصبرنا له، وأنت لم تصبر ربع ساعة على فرسي فأغرب عني" فما كان منالشرطي إلى أن انصرف، إن هذه التعابير تدل على الكبت الكبير الذي كان يعيشه الشيخمتحملا على نفسه ومتحسرا على مصير أمته فأفرغ ما كان في جعبته أواخر عمره وفي أواخر سنة 1932 وبحلول شهر رمضان، اجتمع أهل الحامة ببلكور الواقعةبالعاصمة، وتوجهوا إلى الشيخ بن سماية لكي يعقد لهم مجالسا دينية ليلية في الشهر الفضيلبجامع زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري، ويكون زمن الدرس بين العشائين فوافقالشيخ على طلبهم، وشرع في تدريس رسالة أبي زيد القيرواني من أول رمضان وذلك لمدةأربعة أيام، وفي اليوم الخامس أتى الشيخ كعادته ليقدم الدرس وفي أثناء ذلك شعر الشيخبفتور، فالتف حوله عامة الناس وأسعفوه وأخذوه إلى مترله، وما إن رجع القوم من مترله حتىتوفي الشيخ، وذلك ليلة الخميس يوم 2 جانفي 1933 الموافق ل 5 رمضان 1351 ودفن فيمقبرة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي تأثرت العديد من الشخصيات بموت الشيخ بن سماية منها الشيخ عبد الحميد بنباديس الذي رثاه في مجلة الشهاب حيث قال عنه أنه " عالم عامل، غيور على دينه ووطنهمخلصا لهما، قضى حياته مدرسا بالمدرسة الثعالبية، فبث روحا طيبة فيمن اتصلوا به من تلامذتها.معظما محترما عند زملائه فيها وعند رؤسائها، فرحمه االله وجازاه عن العلم وخدمته و احترامهوالاعتزاز به خيرا وعزى أهله وأهل العلم فيه خير العزاء "، بالإضافة إلى ذلك بعث تلميذهفي المغرب الأقصى أحمد بن محمد التجاني رسالة تعزية نشرت في مجلة التلميذ تحت عنوان "دمعة على فقيد الجزائر المسلمة "حيث وصفه تلميذه بعالم الأتقياء وتقي العلماء، كما ذكر فيهذه الرسالة مناقب الشيخ من جهاده

في الإصلاح وقوة فصاحته وبلاغته وجهاده في سبيلنشر العلم.[11]

5-خاتمة :

في الأخير و ما يمكننا أن نستخلصه من منهج العلامة مايلي:

- أن بن سماية قضى حياته كاملة في التعليم أربعين سنة في التدريس، وركز كل جهوده فيمحاولة تنشئة أجيال، بحيث كان هدفه بناء جيل قادر على تحرير الجزائر فيما بعد، كما لم يهملكبار السن حيث كان يقدم دروس وعظ وإرشاد في المساجد والتجمعات .
- أعتمد منهج بن سماية على الجانب التطبيقي بحيث كان يحاول تطبيق مناهجه قدر المستطاعلتوصيل الأفكار لتلاميذه مثل دروس الموسيقى حيث كان يجلب معه الآلات الموسيقية.
- تبنى الشيخ بن سماية فكر الجامعة الإسلامية الداعي إلى التجديد والنهوض بالعالم الإسلامي،ويعتبر من أكبر الدعاة إليها في الجزائر، كما استقبل أحد زعمائها الشيخ محمد عبده بحفاوة .
- أدخل العديد من الكتب الجديدة ذات القيمة العلمية والمعترف بها، حيث درس دلائل الإعجاز يعتبر بن سماية من المصلحين الأوائل الذين أثروا المناهج التعليمية في المدرسة والمسجد حيثوأسرار البلاغة والعديد من الكتب الأخرى الجديدة، والتي أتت بثمارها فيما بعد فانتشرتلاميذه في العمالات الجزائرية الثلاث أو حتى في أقطار شمال إفريقيا .
- جابه الطرق الصوفية الضالة التي كانت تنشر البدع والخرافات، ودعاهم للعودة إلى منهجالإسلام الصحيح، حيث نشر العديد من المقالات يهاجم الطرقيين منها مقاله في جريدةكوكب إفريقيا أو كتابه التي اتلف من طرف أتباع الطريقة التيجانية.
- الشيخ بعتبرمن زعماء كتلة المحافظين أمثال عبد القادر البجاوي و المولود بن الموهوب التيتبنت مذهب الإصلاح و التجديد على الطريقة الإسلامية الصحيحة.

11عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1931 -1945 م،ص74.

المراجع:

1) سلسلة جهاد شعب الجزائر، **الشيخ عبد الحليم بن سماية** . المكتبة الشاملة الحديثة. بدون سنة.

2) تركي رابح، **الشيخ عبد الحميد بن باديس والحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر**، مجلة الثقافة،عدد 68.

3) عادل نويهض، **معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الحاضر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر،لبنان، 1 . ط2 ،1980.

4) عبد الكريم بوالصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1931 - 1945**،بدون سنة،2009.

5) يسلي مقران ، **الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945م)** ، دار الأصل للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

6) عباس فرحات، **ليل الاستعمار**، تر أبو بكر النحال، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009 .

7) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الحركة الوطنية**، (1906-1945م)، دار المغرب الإسلامي، ج2 ،بيروت،2005.

8) يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية بين الحربين**، دار هومه، الجزائر